بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم وأهل التقى أبناء ضرتي الاخرى

وقال الامام تقي الدين بن دقيق العيد

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا كأنا غير جنسهم منازل الوحش في الاهمال عندهم
فما لهم في توقي ضرنا نظر ولا لهم في ترقي قدرنا هم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم مقدارهم عندنا أولو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى وعندنا التعبان العلم والعدم

وقد ناقضه الفتح القفي المنسوب للزندقة فقال وأجاد

ان المراتب في الدنيا ورفعتها عند الذي نال علما ليس عندهم
لاشك أن لنا قدرا رأوه وما لقدرهم عندنا قدر ولا لهم
هم الوحوش ونحن الانس حكمتنا تقودهم حيثما شئنا وهم نَعم
وليس شيء سوى الاهمال يقطعنا عنهم لانهم وجدانهم عدم
لنا المريحان من علم ومن عدم وفيهم التعبان الجهل والحشم

ولعمري ان ابن دقيق العيد كان في عصره محل التعظيم والتمجيد لان عصره كانت الامة فيه حية تقدر الفضل قدره بالنسبة لما هي فيه الآن وله من الشعر مايومي الى ان العلماء كانوا معظمين ومكرمين فقد قال في التوجيه باصطلاحات الاصول

قالوا فلان عالم فاضل فأكرموه مثلما يرتضي
فقلت لما لم يكن ذاتقى تعارض المانع والمقتضي

﴿ الجمعية الخلدونية في تونس ﴾

طالما نوهنا بان الجمعيات المالية هي التي تنفخ في الامم روح التقدم والعمران ولا نسر بشيء نكتب عنه في جريدتنا كانسر بذكر الجمعيات الاسلامية الناجحة . وقد حملت الينا جريدة الحاضرة التونسية الغراء خبر الاجتماع السنوي الذي عقدته

الجمعية الخلدونية في تونس فلخصنا من تقرير رئيس الجمعية صاحب الفضائل والفواضل السيد البشير صفر عيونه

بين الرئيس أولا ان الجمعية دائبة على العمل بلا افتخار ، ولا نفخ في المزمار ، لان الغاية أجل وأسمى من سفاسف التباهي وحب الاشتهار ، وان المقصد منها بث المعارف التي عليها مدار العمران (قال) سيما وقد صبرتنا صروف الاحوال ، أحوج اليها من الظمآن الى الماء الزلال ، ثم السير بالتعليم ، في منهاجه القويم ، وتكلم عن المالية فأبان أن أربعين ونيفا من الاعضاء المشتركين تأخروا عن تسديد معلوم اشتراكهم (يا للاسف والعار) قال ولو زادت الموارد لاتسع النطاق ، بنشر مجلة في الآفاق ، واعانة بعض المبرزين من أبناء مدارسنا على مزاحمة غيرهم في حلبه السباق ، اذ هذا العصر كما تعلمون عصر صارت فيه قيمة العباد ، بحسب الاستعداد ، لا بمجد الآباء والاجداد ، ثم تكلم عن التعليم والمتعلمين بما نصه

(التعليم) — أما طريق التعليم فقد سارت فيه لجنتكم بفضل الله سيراً حثيثاً وذلك انها اعتبرت أولاً لزوم تسهيل المطالعة والمراجعة فأحدثت مكتبة احتوت على نيف ومائتي مجلد كبير وصغير في فنون شتى كالجغرافيا والحساب والهندسة والجبر وحفظ الصحة وغيرها وجميع هذه الكتب عربية العبارة سهلة المأخذ فانتفع بها المعلمون والمتعلمون ولا زالت هذه المكتبة قابلة للكمال والتحسين والمأمول ان توجه نحوها عناية اللجنة القابلة .

« ثم رأت لجنتكم ان التعليم آخذ في مفهومه وجود المعلم والمتعلم وان الأول ربما انفصم حبل استمراره على التدريس إذا لم يشد بوثاق الأجر العاجل ، والثاني يوشك ان ترتخي عزيمته اذا لم تعالج بمنشطات الخير الآجل ، ولذلك طلبت من الحكومة المحمية بواسطة جناب مدير العلوم والمعارف ان تؤجر المعلمين إذ لا تسمح بذلك الآن مواردنا المالية ، وان تضع امتيازات للمتعلمين كي يجتنوا ثمرة اقبالهم على الفنون العصريه ، وقد أجابت الدولة هذين السؤالين فكرمت من جهة بتخصيص مرتبات وقتية للقائمين بالتعليم المستمر ومن جهة أخرى أصدرت أمراً علياً تعلمون أيها السادة فحواه ومداره على ترشيح الجامعين بين العلوم العربية والفنون

النافعة وتقديمهم على من سواهم في كثير من الوظائف الإدارية وهي عناية من الحكومة تستوجب الثناء الجميل والشكر الجزيل و بذلك أصبح اليوم هيكل جمعيتكم في قرار مكين اذ أقيمت دعائمه على أساس متين

المتعلمون ـ ابتدأت دروس الخلدونية أثناء السنة الفارطة وأوائل السنة الجارية وعدد الطلبة زهيد ، ولا عجب فقد كان مشروعنا ككل جديد موضوعاً للقال والقيل وذهبت الأفكار في شأنه مذاهب بين مستحسن ومنتقد فلا غرو ان كان الطلبة يقدمون رجلاً و يؤخرون أخرى في وقت كانت الخلدونية فيه مرمى السهام ، من بعض ذوي الافهام ، مع اننا بحمدالله لسنا ممن ينحرف مع الإلحاد ، أو يسعى في الأرض بالفساد ، وأي ذنب لنا في هذا الباب ، يا أولي الالباب ، سوى غيرة ملية بعثتنا على السعي بقدر الاستطاعة في بث فنون كانت ولم تزل محط الرجال ، فحول الرجال ، في كثير من الأجيال ، إذ عليها مدار العمران ، وما بعد العيان بيان ، فان كنا في ذلك آثمين ، وعن منهج الاصابة ضالين ، فقد أثم من قبلنا ذووهم فنحن منهم الا كقطرة من يم ، أثم من قبلنا الخليفة المأمون ، ناشر لواء هذه الفنون ، وأثم ابن سينا والفارابي وابن رشد وابن الهيثم وابن طفيل وغيرهم من أئمة بذة الاعلام ، الذين وسعوا دائرة هذه العلوم في الاسلام ، فاكسبوا أمتهم فخراً بين الاقوام ، ومجداً لم يزل حديثه موضوع الكلام لدى الخاص والعام ، فان كان هذا الذنب ونحن في البداية ، فنعم الذنب ونعمت الغواية ، نسأل الله ان يمدنا فيها بالعناية حتى النهاية ،

لكن لا لوم ولا عتاب فقد انتقد المنتقدون قبل ان يتبينوا وهاهم اليوم ادركوا كنه المقصود فصاروا جزاهم الله خيراً من المساعدين ، بعد ان كانوا من المثبطين ، ولذلك لم تفتح دروسنا منذ شهرين الا وتقاطرت عليها أفواج الطلبة من كل حدب وفيهم من أحرز رتبة التطويع بالجامع الأعظم دام عمرانه وكثير من طلبة المطولات وفيهم من هم دون ذلك ولجميعهم أفكار وقادة وقابلية كبرى للتحصيل

وهنا لا بد من الاعتراف بأن الفضل في ذلك راجع الى السادة العلماء الاعلام ، هداة الأنام ، إذ عن اشارتهم حققت الآمال ، بهذا الإقبال

« أما عدد الطلبة المثابرين اليوم على دروس الخلدونية فعدله مائة وخمسون

جعلناهم ثلاثة أقسام مع المحافظة على الشرط الذي التزمناه من عدم التداخل في الأوقات بين ساعات التعليم هنا وساعات التدريس بالجامع الأعظم فجاء التقسيم على الصورة الآتية

القسم الأول — معدل تلامذته عشرة ودروسه من الساعة الخامسة الى الساعة السابعة مساء بالتعديل العربي وهذا القسم مؤلف من تلامذة الخلدونية من حين نشأتها فكانوا بذلك على درجة حسنة في التحصيل إذ قد أتموا فن الجغرافية السياسية والطبيعية لأقسام الأرض الخمسة مع تفصيل الجغرافية التونسية والالمام بجانب مهم من الجغرافية التجارية والتاريخية كما درسوا أيضا دراسة اتقان فن الحساب بجميع عملياته صحيحا وكسرا وجميع قواعده المحتاج اليها في المعاملات وحساب المكاييل والمقاييس الجاري بها العمل في هذا القطر

ودرسوا ما به الحاجة من المساحة والهندسة العملية وهم الآن بصدد تعلم الهندسة النظرية بحيث يمكن أن يقال ان هذا القسم أحرز المطلوب (إلا في التاريخ) للتحصيل على شهادة الترشيح غير أن إقبال تلامذته على العلوم النافعة مما بهم إلى حب الترقي والتقدم ولذلك جعل لهم درس في الجبر وعن قريب إن شاء الله توضع لهم دروس في التاريخ العام وفي قياس المثلثات وما يلزم لتعاطي الرياضيات من اللوغر ثم استخراج الجذور ،

القسم الثاني — من مضي ساعة إلى ساعتين بعد الزوال ومعدل تلامذته مائة وعشرون وهؤلاء باشروا الدروس منذ شهرين فأتموا جغرافية أوربا وآسيا وأفريقيا، وهم الآن بصدد الجغرافية التفصيلية للبلاد التونسية ، ودرسوا من الحساب عملياته الأربعة للأعداد الصحيحة والكسرية الأعشارية والاعتيادية مع ما يتبعها من التمرينات وحل المسائل الحسابية و بعد قليل يشرعون في الهندسة العملية ثم التاريخ

القسم الثالث — من الساعة السابعة إلى الثامنة ومعدل تلامذته أربعون وهو كالقسم الثاني في التحصيل

هذه هي الدروس الرسمية وما عداها جعلنا مسامرة طبية في كل أسبوع ودرسين أسبوعيين في اللغة الفرنسوية ودرسين للترجمة

وبما تقرر يظهر لسيادتكم ان لجنتكم لم تأل جهداً في ترتيب الدروس على وجه وجه كافل ان شاء الله للحصول على المقصود من بث مبادئ المعارف النافعة تدريجا بين نجباء هذا القطر وعلى الله الاتكال في بلوغ الا مال

وقبل الختام استسمح سيادتكم في اسداء عاطر الثناء لاخواني أعضاء اللجنة الذين شاركوا فيما شرحناه لكم من الأعمال واخص منهم بالذكر الفاضلين الأكابر سيدي العربي العنابي كاتب اللجنة وسيدي عبد العزيز الحيوني حافظ ماليتها على ما أظهراه من الحزم والاجتهاد واختلاس نفيس الاوقات للقيام بما عهد اليهما من الكتابات والحسابات وفقنا الله جميعا الى خدمة الأوطان بما تقتضيه حالة الزمان اه

ثم تلا الرئيس أمين صندوق الجمعية الفاضل السيد عبد العزيز الحيوني فبين دخل الجمعية في هذا العام وهو بحساب الفرنك ٣٩٦١ر١٦ و بين نفقاتها وهي بحساب الفرنك أيضا ١٤٩٨ر١٤ وقد فصل ذلك تفصيلا . فنسأل الله تعالى ان ينجح مساعي هذه الجمعية المفيدة ويجزي أعضاءها الكرام وكل من يساعدها ويعضدها أفضل الجزاء بمنه وكرمه

ذكرت جريدة الحاضرة الغراء خبر الاحتفال السنوي لأعانة التلامذة الفقراء في المكاتب وانه كان في هذه السنة على أحسن حال اذ أقبل على المشاركة فيه سمو الباي المعظم وولي عهده الاكرم وسائر آل بيته الكرام وكذلك أولو الحل والعقد من الفرنساويين والتونسيين . وذكرت ان حضرة الامير سيدي محمد الناصر باي تفضل فوق الاعانة المالية باعارة آلة ناطقة (فونغراف) لتفكهة من حضر الاحتفال من الذين لا يعرفون هذا المخترع العجيب وقد ابتهج القوم لحسن منطق الآلة بالالحان والاغاني والاناشيد التي من ألطفها أبيات لحضرة العلامة الفاضل سيدي سالم بوحاجب نظمها عن لسان حال الآلة فانشدتها الآلة بمقالها مطلعها

لكم يا سادتي أهدي سلامي ... وأبدي سر صنع ذي اكتتام
فهل قبلي رأيتم أو سمعتم ... جمادا يستميلك بالكلام
يشافهكم بألفاظ فصاح ... ويسليكم بنثر أو نظام

ومنها

فهذا كله رمز لحالي ومنه غدا المعمى ذا انفهام
ولا تتعجبوا فالكون تبدو بدائعه على طول الدوام
وأصل جميعها العرفان كم قد تيقظ أهله غب المنام
وكم نفعوا العباد بما ابانوا وما أدراك مانفع الانام
وكم قالوا وقلتم ذا محال وبعد الكشف صرتم للوثام
فأهل العلم أهل ان يقولوا لمن يعزو لهم طيش السهام
اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ماقالت حذام

محاورة في اصلاح التعليم (*

(في الازهر)

لولا أن اليأس من روح الله مقصور في كتاب الله على القوم الكافرين لقلنا كيف يرجى اصلاح حال أمة يعتقد علماؤها ان الاصلاح محال، وان العمل على ارجاع مجد الدين عبث وضلال ؟ لان الزمان فسد والساعة قربت وظهر في الناس مصداق الاحاديث بغوايتهم وتركهم للدين ولا يوجد احاديث أخرى تدل على انهم يرجعون الى هديه . وأن العلوم العصرية حتى الحساب والتاريخ مضلة للامة صادة لهم عن سبيل الحق مسجلة عليهم الحرمان من السعادة. وأن السعادتين الدنيوية والاخروية — اللتين حث عليهما الاسلام — لا تنالان الا بدراسة هذه الكتب المطولة في النحو والفقه وان كان أكثرها عقيما لا يصلح لسانا ولا عملا ، ولا بقي الآخذ به زيغا ولا زللا، وأن ماسوى ذلك من علوم التفسير والحديث والتهذيب لا ضرورة تدعو

---

*) هي المقالة الثانية من العدد الثاني والاربعين الصادر في يوم السبت ٢٤ شعبان سنة ١٣١٦ الموافق ٢٦ ك ٢ (دسمبر) سنة ١٨٩٨ وحذفنا المقالة الاولى لاننا اعدنا نشرها في المجلد التاسع (ص ٦٦٤ م ٩) كما تقدم